الشعر بوصفه حقيقة ذاتية

الكون كذلك عبارةٌ عن نصٍّ من نصوص الإبداع المطلق، وكلُّ عنصرٍ من عناصره عبارةٌ عن مجازٍ تتكثّفُ فيه الإشارات التي تقودنا إلى مُكَوِّنُ هذا الكون وحقيقته المطلقة.
لذلك فإنَّ مسؤولية الإشارة كبرى وتحتاج إلى الالتباس بحالة عرفانيَّة لاستيعابها كما يجب.
من هنا نخلص إلى أنّ الشعر والعرفان توأمان سياميَّان مرتبطان عبر أوردةٍ وشرايين إنسانية ووجودية في كيان الملكوت الكونيّ، من حيث إنَّ كليهما يمثِّل حالةً مجازيَّةً تقود إلى الحقيقة المنشودة، وهنا يقفز في وجوهنا السؤال التالي: ما علاقةُ الشعر بالحقيقة؟

(أعذبُ الشعر أكذبُه)، وهذا القول -حسب وجهة نظري- لا يتجاوز فكرة المجاز التي تحدّثنا عنها آنفًا، حيث يكون المعنى الظاهر للجملة الشعرية مختلفا تماما عن المعنى المؤجل في باطن تلك الجملة. ومن هنا تمَّ نعت الشعر بالكذب، والطريف في الأمر أنَّ هذا القول المأثور (أعذبُ الشعر أكذبُه) يحمل في حدِّ ذاته مجازا شعريًّا

للإجابة عن هذا السؤال، لا بدَّ أن نستحضر القول المأثور في الأدب العربي: (أعذبُ الشعر أكذبُه)، وهذا القول -حسب وجهة نظري- لا يتجاوز فكرة المجاز التي تحدّثنا عنها آنفًا، حيث يكون المعنى الظاهر للجملة الشعرية مختلفا تماما عن المعنى المؤجل في باطن تلك الجملة.
ومن هنا تمَّ نعت الشعر بالكذب، والطريف في الأمر أنَّ هذا القول المأثور (أعذبُ الشعر أكذبُه) يحمل في حدِّ ذاته مجازا شعريًّا، حيث الكذب هنا يمثِّل بُعدًا جماليًّا يتجلَّى في قدرة الشاعر على المراوغة اللغويَّة بأسلوبٍ فنِّيٍّ بديع.
أمَّا الحقيقة التي نقصدها فهي حقيقةٌ ذاتيَّة، حيث يطغى الذاتي على الموضوعي في الإبداع الشعري، وهذا ما يفتح بوَّابة التأويل على أقصاها أمام القُرَّاء كي تكون لكلِّ قارئٍ حقيقته الذاتية الخاصَّة.
إنَّ طغيان الذاتي على الموضوعي يعني أنَّ عالم الإبداع مختلف عن عالم الواقع، وأنَّ القصيدة تمثِّل نافذة مفتوحة بين هذين العالَمين.
لذلك دائما نرى صورًا شعريَّةً في عالم الإبداع لا يمكن لنا أن نراها في عالم الواقع، لكنَّها في الوقت نفسه تربط بينهما بخيطٍ رفيعٍ من الخيال الجميل.